العلوم عند العرب

(تابع لما في الجزء السادس عشر)

واما الجراحة فلم يكادوا يزيدون فيها على ما تناولوه عن كتب اليونان بل ربما قصروا فيها عن مبلغهم لانها متوقفة على التشريح وهو محرّمٌ عندهم فكانوا لا يعرفون صفات الاعضآء التشريحية الا بالوصف الذي يطالعونهُ في تلك الكتب . على ان اكابر الاطبآء منهم كانوا يترفعون عن تولي الاعمال الجراحية بايديهم فاذا دُعوا لامرٍ جراحيّ وصفوا طريقة العمل ووكلوا اجرآءهُ الى الجرّاح . وبهذا انفردت الجراحة عن الطبّ وترتب على ذلك تراجعها واقتصارها على غير المهمّ من الاعمال كالقدح في العين واستخراج حصى المثانة وما اشبه ذلك الا ما ندر كما حكاهُ الرازيّ من انهُ شهد مرةً خرق عظم الفك الاسفل . واول من جمع بين الطب والجراحة مروان بن عبد الملك بن زُهر وكان لهُ باعٌ في معالجة الكسر والخلع وفتح القصبة وغير ذلك . واقتدى بهِ بعض اطبآء وقتهِ من اهل الاندلس واشهر من يُذكر منهم ابو القاسم الزهراوي وكان بارعاً في بتر الاعضآء واستخراج ما يعترض في الحلق من الاجسام المبتلعة الا انهُ على كل حال كانت الجراحة في منتهى القصور حتى ذكر مروان بن عبد الملك المشار اليهِ انهُ لم يكن في ايامهِ من يحسن ان يثقب عظماً

واما الكيميآء فمعلومٌ ان الغرض منها كان تحويل بعض المعادن الى بعض بنآءً على ما اقتضتهُ فلسفة تلك العصور مما لا نطيل بهِ في هذا

الموضع . وقد تناول العرب هذا العلم عن اليونان في جملة ما اقتبسوهُ عنهم من العلوم واشهر من اشتغل بهِ منهم جابر بن حيّان الكوفي حتى انهم كانوا يخصّونهُ بهِ فيسمّونهُ علم جابر ولهُ فيهِ تآليف كثيرة ذكر بعضهم انها تبلغ سبعين رسالةً . وممن عني بهِ ابو نصر الفارابي وابو بكر الرازي وذو النون المصري والحسن بن قدامة ومؤيد الدين الطغرآئي وابن رشد وغيرهم من اكابر اهل العلم فضلاً عن المقلدين وهم خلقٌ لا يحصى وما فيهم الا من امتحن الامتحانات الغريبة وقلّب الموادّ كل مقلّب للوصول الى ما يسمّونهُ بالاكسير او الحجر الفلسفي وهو الذي يتمّ بهِ تحويل المعادن كما زعموا فاكثروا من تحليل الاجسام وتركيبها وتحويلها من هيئةٍ الى هيئة بالتكليس والتقطير والتصعيد والتخمير وسلّطوا بعضها على بعض فكانت لها مفاعيل مختلفة تحوّلت بها الموادّ الى صورٍ شتى بين املاح وارواح وزيوت ومركّبات متباينة الهيئات والطبائع فكان اشتغالهم بهذه الصناعة اصلاً للكيمياء الحدثة التي استولى بها المتأخرون على ازمّة العناصر كما كانت مباحثهم في صناعة التنجيم اصلاً لعلم الهيئة الذي توصلوا بهِ الى الاحاطة باسرار العوالم

واما علم النبات فكان المشتغلون بهِ منهم نفراً قليلاً ولم يكادوا ينظرون فيهِ الا الى جهة الخواص الطبية وقد اكتشفوا عدة انواع من العقاقير التي لم تكن معروفةً من قبل وهم اول من استعمل خيار شنبر والسنى والتمر الهندي في المسهلات واول من عالج بالعُنّاب والاهليلج والحلتيت وهذا الاخير من مكتشفات الرئيس ابن سينآء . واشهر من تتبع انواع النبات

ووصفها ابو حنيفة الدِينَوَري من اهل القرن الثالث وابو بكر الرازي ولهُ تأليف مطوّل أتى فيهِ على وصف عقاقير الهند وفارس والديار الشأمية وابن سينآء وقد استقرى عقاقير بلخ والصغد وعبد اللطيف البغدادي ولهُ كتابٌ دقق فيهِ في وصف النبات بما لم يتقدمهُ فيهِ سواهُ . وممن الّف في انبات الشريف الادريسي والغافقي والزهراوي وابن البيطار وقد تقدم ذكرهم قريباً واشهر ما كُتب فيهِ مصنّف ابن البيطار جمع فيهِ مفردات الادوية والاغذية من النبات وغيرهِ مرتبةً على حروف المعجم وفيها كثيرٌ مما اكتشفهُ بنفسهِ كما نبه على ذلك في مقدمة الكتاب

واشتغالهم بالحيوان كان دون اشتغالهم بالنبات واول ما اخذوهُ عن كتابٍ لذيمقراطيس وآخر لارسطاطاليس عرّبهُ ابن البطريق وهو تسع عشرة رسالة . وقد كتب في هذا الفن جماعةٌ منهم واوسع ما وصل الينا من تصانيفهم الكتاب المعنون بحياة الحيوان الكبرى لكمال الدين الدميري ذكر فيهِ ما يزيد على الف نوع قيل انهُ جمعهُ عن خمس مئة وستين كتاباً ومئة وتسعة وتسعين ديواناً من دواوين شعرآء العرب . وممن كتب فيهِ ابو عثمان الجاحظ وابن ابي الاشعث وابن الكتبي وغيرهم الا ان كل تآليفهم قاصرة لم يتعدّوا فيها الوصف النوعيّ

واما علم المعادن فاول من تكلم فيهِ كلاماً صحيحاً ابن سينآء فانهُ قسم المعادن الى اربع مراتب وهي الحجارة والمائعات والاجسام الدهنية [1] والاملاح وبقي هذا التقسيم معتبراً في كثيرٍ من المدارس العليا باوربا الى

(١) المراد بالاجسام الدهنية كل ما يقبل الالتهاب كالكبريت والنفط والفحم ونحوها

القرن الثامن عشر . واكثر ما ذكروا انواع المعادن في كتب المفردات الطبية لبيان خواصّها كما فعلوا في انواع النبات وقلّ من افردها في مؤلف مخصوص واشهر من كتب فيها ابو الريحان البيروني وقد جآء في بعض المصنفات انهُ سافر مدة اربعين سنة في تفقد انواع الحجارة الكريمة التي اودعها كتابهُ قالوا ولهُ في ذلك اكتشافات سنيّة

واما علم طبقات الارض فلم نرَ فيهِ كلاماً لاحدٍ من المتقدمين مع أن ارسطاطاليس ذكر شيئاً من اصول هذا العلم فتكلم على تولد الاراضي الطفالية على فوّهات الانهار الكبرى وشخوص الجبال بفعل البراكين وكذلك استرابون تكلم على ركوب البحار لليبس وانحسار المآء عن دَرَك البحار بدليل الاصداف وبقايا الاسماك التي تُرَى على رؤوس الجبال وفي جوف الارض الى غير ذلك . وقد جآء للقزويني في بعض هذه المعاني كلامٌ في كتابهِ عجائب المخلوقات لا يخرج غالبهُ عن حدّ الخرافة كما فعل فيما ذكرهُ عن انواع الحيوان والمعادن وغيرها على ان عنوان كتابهِ يدلّ على انهُ كتاب عجائب لا كتاب علم ولذلك حرص فيهِ على جمع الخوارق . لكن جآء في بعض مصنفات الافرنج ان العرب تكلموا على طبقات الارض في القرن العاشر وما يليهِ وهو الاخلق بهم الا انهُ لم يبلغنا شيءٌ من كتبهم

واما الجغرافية فاشتغل بها كثيرون منهم ولهم فيها التصانيف المفيدة واكثر ما تكلموا على جغرافية افريقيا وآسيا وممن اشتهر من جغرافييهم ابن خرداذبه ابو القاسم عُبَيد الله بن عبد الله الجغرافي المؤرخ من اهل القرن الثالث ولهُ كتاب المسالك والممالك . ومنهم ابو اسحق الاصطخري

من اهل القرن الرابع ساح في بلاد العرب وما يليها الى الهند وصنف كتاباً جليلاً سمّاهُ كتاب الاقاليم . ومنهم ابن حوقل وهو من معاصريهِ ساح في الديار الاسلامية وبلاد البربر وجال في الاندلس ودخل العراق واراضي فارس وغيرهـا وقضى في رحلتهِ نحواً من ثمانٍ وعشرين سنة وألّف كتاباً سماهُ المسالك والممالك والمفـاوز والمهالك . ومن اقدم جغرافيي العرب ابن فضـلان المتوفى سنة ٣٠٩ وصف بلاد الروس على ما كانت عليهِ لوقتهِ . وممن جآء بعدهُ ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمذاني المعروف بابن الحائك ولهُ كتابٌ في وصف جزيرة العرب . ومنهم ابو الحسن عليّ المسعودي ساح في بلاد فارس والهند وتيبت وجزيرة سيلان وبعض جهات افريقيا والسودان وجنوبي جزيرة العرب والديار الشامية ومملكة الروم ولهُ عدة تآليف في الجغرافية والتاريخ اشهرها كتاب مروج الذهب . ومنهم البيروني الرياضي الفيلسوف المشهور ابو الريحان محمد بن محمد الخوارزمي ولهُ كتابٌ نفيس في وصف بلاد الهند . ومنهم ابو عبد الله محمد الشريف الادريسي من اهل القرن السادس ساح في بلاد الاندلس وشمالي افريقيا وآسيا الصغرى ولهُ مؤلف جليل في وصف افريقيا واسبانيـا وايطاليا سماهُ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ولهُ ايضاً وصف فلسطين وبر الشام . ومن معاصريهِ ياقوت الحموي وهو روميّ الجنس ساح في بلادٍ كثيرة دهراً طويلاً ولهُ كتابٌ في الجغرافية رتبهُ على حروف المعجم سماهُ معجم البلدان وهو أشهر ما أُلّف في هذا الباب وأجمعهُ . ومن اصحاب الرِحَل محمد بن جُبَير البلنسي من اهل القرن السادس رحل الى الشام والعراق والجزيرة

وتجول في القطر المصري ولهُ كتاب رحلةٍ مشهور . ومن رحّالاتهم ابن بطوطة ابو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجيّ من أهل القرن الثامن ساح في بلاد العراق ومصر والشام واليمن والهند والصين والتتار واتى بلاد السودان وألّف في ذلك رحلتهُ المشهورة . ومنهم غير اولئك ممن لا نطيل بذكرهم (ستأتي البقية)

كلامٌ صحّي في الشعر

لحضرة النطاسي البارع الدكتور اديب افندي الزيات

انهُ مع ما بلغ اليهِ علم حفظ الصحة في ايامنا من التدقيق والاتساع وتعدد التآليف والمقالات في كل فرع من فروعهِ قلما ترى من تعرض للكلام عن صحة الشعر ووسائل الاعتناء بهِ والنفر اليسير الذين كتبوا في هذا الموضوع كانوا مختلفين في الرأي متباينين في المبدأ فضلاً عن ان كتاباتهم محصورة في بعض المؤلفات التي لا يتيسر الوصول اليها الاّ لبعض الخاصة

ولما كان الشعر من أجل ما حلت بهِ الطبيعة الانسان وكان كثير التعرض للآفات المرضية من تغير اللون تارةً والسقوط أو التكسر اخرى فضلاً عما يطرأ عليه من الامراض التي هي أهمّ من ذلك احياناً كان البحث في صحة الشعر من أهمّ المواضيع التي تشمل فائدتها الخاص والعام وقد سُئلنا كتابة شيءٍ في هذا المعنى يستبصر بهِ المطالع فلخصنا في هذه الصفحات أهمّ ما عثرنا عليهِ في التآليف الحديثة المخصوصة وما اقتبسناهُ عن كبار